الفصل الثانى

المرأة قبل الزواج

متى تسعى الأنثى للقاء طبيب أمراض النساء قبل الزواج

تسعى الأنثى إلى لقاء طبيب أمراض النساء فى مراحل مختلفة قبل الزواج سواء كانت بكرا أم ثيبا، وذلك لأسباب مختلفة، منها مشاكل البلوغ، والحالات الصحية المرتبطة بالدورة الشهرية، والمشاكل المترتبة على ممارسة الجنس خارج نطاق الشرعية أو العرف، والاستشارة أحيانا بخصوص وسيلة منع الحمل المناسبة تمهيدا للزواج، وإذا كانت الأنثى قد سبق لها الزواج فإنها قد تأتى لعلاج حالات صحية سببت لها مشاكل فى زواجها الأول، وبعض هؤلاء قد يحضرن للاستئناس برأى الطبيب فى الزيجة الجديدة.

نقص المعلومات، مشكلة الفتاة

وبالنسبة للبلوغ، – وهو مرحلة انتقال الأنثى من مرحلة الطفولة إلى النُضج، فإن البنت فى بلدنا تظل مشكلتها من البداية ولفترة متغيرة بعد الزواج نقص المعلومات وعدم وجود مصدر سليم لهذه المعلومات

الحيوية المرتبطة بالأنوثة والجنس وأحواله المختلفة والجنس الآخر، والواقع هو أن كثيرا من الأمهات يتحرجن من الكلام مع بناتهن فى هذا الخصوص، وتترك البنت أساسا لصويحباتها إلى جانب ما تجود به المناسبات، ورغم أن العالم منذ سنوات كثيرة مهتم بذلك الموضوع لخطورته، إلا أن الوضع عندنا من السوء بحيث إن أطباء أمراض النساء يقابلون بصفة شبه يومية مشاكل ناتجة عن نقص المعلومات الجنسية، ومنها مشاكل قد تهدر المستقبل الشخصى والزواجى للفتاة وقد تهدر الحياة نفسها، والأمثلة كثيرة مثل الحمل الذى يحدث بسبب العلاقات الجنسية الناقصة اعتمادا على الاعتقاد الخاطئ بأن عدم الإيلاج وبقاء غشاء البكارة سليما يضمن عدم حدوث الحمل، ومثل عدم القدرة على استيعاب كيفية عمل وسائل منع الحمل وبالتالى إهدار فاعليتها بالاستعمال الخاطئ، فيحدث الحمل غير المرغوب فيه وبالتالى محاولة الإجهاض ومثل عدم فهم طبيعة العلاقة الجنسية وشخصية الذكر، مما يقلل السعادة الزوجية وقد يؤدى إلى الطلاق.

مصدر المعلومات الجنسية

والمصدر الأول للمعلومات الجنسية يجب أن يكون فى المناهج الدراسية المتدرجة، ويفضل أن يكون لها المدرسون المؤهلون لذلك، وأن تكون معهم وسائل الإيضاح السمعية والبصرية.

والمصدر الهام الثانى يجب أن يكون الأم أو من تقوم مقامها حيث إن هناك أمهات ليست لديهن معلومات ذات قيمة بالرغم من سنوات الزواج الطويلة أو لا يعرفن كيف يقدمنها.

ويلى هؤلاء وسائل الإعلام العامة مثل الإذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات والكتب المختارة.

يجب أن يتخلى المجتمع عن الحرج من الكلام فى الجنس

ويجب أن يتخلى المجتمع عن الحرج من الكلام فى هذا الموضوع، وليس الأمر مجرد تدريس تشريح الجهاز التناسلى، فبحكم عملى فى مجال إلقاء المحاضرات عن فسيولوجية الإنجاب والثقافة الجنسية لسنوات طويلة، تبينت عدم دراية مثقفين كبار ذوى أولاد وبنات بأمور أولية فى الثقافة الجنسية، وتعطشهم إلى معلومات أساسية فى ذلك المجال.

ومرحلة المراهقة التى تلى بلوغ الأنثى هى مرحلة الأحلام الوردية التى لا تخلو من فارس يأتى ليطير بها إلى آفاق بعيدة لا حدود لها، وقد تتبدل الصورة النهائية لهذا الفارس، ولكنه يبقى هناك دائما متنفسا لها وحاملا الملامح التى ترجو أن يكون عليها الزوج المرتقب.

العادة السرية والاحتلام

والعادة السرية لا تعرفها أغلب الفتيات، وهى تعنى صورا مختلفة من الضغط على الأجزاء الحساسة فى الجسم إلى درجة

تقترب أو تصل إلى قمة اللذة الجنسية، ولكن الاحتلام أكثر انتشارا بينهن، وهو يعنى الأحلام الجنسية، وجميع صور الإثارة تنتهى بِبَلَل يتفاوت فى كميته من أنثى إلى أنثى، وهن يختلفن عن الفتيان الذين يمارس أغلبهم العادة السرية، ويكثر الاحتلام عند القلة التى لا تعرف العادة السرية أو لا يمارسونها إلا نادرا، وكلا الأمرين ينتهى عند الفتيان بإنزال السائل المنوى الذى يتكون باستمرار اعتبارا من سن بلوغ الذكر حتى الشيخوخة، وبذلك يفهم أن العادة السرية والاحتلام هى سلوكيات فسيولوجية طبيعية للجسم إذا ما مورست باعتدال، وهى عند ذلك لا تؤثر على القدرة الزوجية فى المستقبل، ولا تؤدى إلى البرود الجنسى، ولا تؤثر فى غشاء البكارة إذا لم يمس، (وبذلك لا يستوجب الاحتلام والعادة السرية ما أحاطهما به المجتمع من تأثيم وتحقير كان يعذب الشباب ويكون الشعور العميق بالذنب واليأس أكثر ضررا من العملية نفسها)، ويساعد على عدم الإفراط الخروج إلى الهواء الطلق وممارسة الرياضة والأشغال والقراءة مع تجنب الإنطواء، ويحتاج الشباب إلى من يناقش معهم هذه الأمور بتفتح.

عواطف المراهقة

ومرحلة المراهقة عند الفتاة تزخر بكم كبير من العواطف التى تستلزم منا الملاحظة مع إدراك الطبيعة المرحلية لهذه العواطف وأنها نادرا ما تستمر، مثال ذلك غرام الفتاة بإحدى مدرساتها

أو إحدى ضويحباتها، ويمكنها أن تبكى تأثرا عند أقل مجافاة من المعشوقة فى سلوكها معها، وقد يصل الأمر إلى الامتناع عن الطعام والانتحار أحيانا، ويحتفظ كثير من الفتيات فى سنوات ما قبل العشرين «بأتوجرافات» يتبادلن فيها كثيرا من الكلمات الغرامية الحارة، وقد توجه هذه العواطف إلى مدرس بدلا من مدرسة، ومن المعتاد أن تمارس الفتاة التقبيل والعواطف الجياشة مع أبيها فى مرحلة معينة من المراهقة، وفى ذات الوقت كثيرا ما تجىء الشكوى من التوتر والمناقشات العنيفة بين الفتاة المراهقة وأبويها وخاصة الأم لأتفه الأسباب، ويحدث هذا عندما لا يؤهل الأبوان لإدراك ماهية مرحلة المراهقة التى تتميز بالحساسية المفرطة فضلا عما يكتنفها من تغيرات فسيولوجية بسببها التحول من طفلة إلى أنثى صغيرة بتوزيع جديد للدهون فى الجسم مع نمو الثديين يضاف إلى ذلك العواطف المشرئبة والخيالات الكثيرة مما يستوجب التفهم والتعاطف بدلا من الشد والعصبية، وبهذه المناسبة فإن أنثى الإنسان تتميز بأن الثديين ينموان ويتكوران عند البلوغ بدون حدوث حمل أو رضاعة، وفى الحالات القليلة التى لا ينمو فيها الثديان كما يجب تتكون عند الأنثى حساسية شديدة نحو هذا الأمر وخاصة إذا لم تكن النحافة الشديدة هى العامل المؤثر.

مشاكل الطمث الشهرى

وأغلب الفتيات يشعرن بآلام تسبق أو تصحب نزول الطمث الشهرى، وهذه الآلام التى تتركز على أسفل البطن تتفاوت فى شدتها من فتاة إلى أخرى، وقد يصحب ذلك آلام بالثديين وأعراض أخرى مثل بثور الوجه، وقد تؤدى شدة الألم إلى القىء، وتقل آلام الدورة الشهرية بممارسة الرياضة والانشغال بالعمل داخل المنزل وخارجه، وهناك مسكنات مختلفة.

وكثير من الفتيات يعتقدن أن آلام الدورة دليل على ضعف الخصوبة مستقبلا وأن المسكنات يمكن أن تؤثر سلبا على القدرة على الحمل وكلا الاعتقادين خاطئ كما أن الآلام تأتى عادة مع بدء المبيض فى إفراز البويضات شهريا.

انتظام الطمث الشهرى

وانتظام الدورة يعد أكثر أهمية لمستقبل خصوبة الأنثى ولكن هذا الانتظام قد لا يحدث فى مرحلة البلوغ المبكرة وخاصة مع وجود الأنيميا.

والطمث الذى يأتى فى موعده شهريا أو قبل موعده بعدة أيام قد تصل إلى ثمانية أيام يعد - بصفة عامة - دليلا على سلامة الجهاز التناسلى للأنثى، أما الطمث التى يتأخر كثيرا عن موعده باستمرار فهو الذى يستوجب الفحص والعلاج.

وانتظام الطمث أهم من كمية الدم التى قد تقل أو تزيد من أنثى إلى أخرى، وهناك فتيات اعتدن إنزال كميات كبيرة من دم الحيض ولأيام قد تصل إلى سبعة أو ثمانية أيام، وهذا لا يعنى أمرا مقلقا طالما لا يؤثر على الصحة العامة، ومن ناحية أخرى فهناك نساء يستمر نزول الطمث لديهن بانتظام لساعات محدودة ومع ذلك يتمتعن بخصوبة جيدة.

وكثير من الفتيات يعبرن عن ظروفهن ومشاكلهن باضطراب الدورة الشهرية التى يمكن ألا تنتظم فى فترة الامتحانات، والصدمات العاطفية، والحزن العميق، وبهذه المناسبة، فإن سن البلوغ الطبيعى فى مصر عادة يكون بين الثانية عشرة والثالثة عشرة، فإذا تأخر عن الخامسة عشرة يجب استشارة الطبيب.

والسمنة المفرطة وكذلك النحافة الشديدة يمكن أن يؤثرا سلبا على الدورة إلى جانب العقد النفسية المصاحبة للسمنة والنحافة، كذلك قد يقاسى بطلات الرياضة العنيفة من اضطرابات الدورة.

ونظرا لأن الأنيميا سهلة الحدوث للفتاة فى سن البلوغ بسبب الزيادة السريعة فى حجم الجسم، فإن الأنيميا يمكن أن تكون سببا لعدم حدوث الطمث أو ضعفه.

الصداقة بين الأم وابنتها

والمهم ألا تترك الفتاة لتفاجأ بحدوث الطمث، ولتكن مناسبة بدء الدورة الشهرية فرصة تقترب فيها الأم من ابنتها، ويصبح لهما أسرار متبادلة، وتتكون بينهما صداقة قوية تحمى البنت من مصائب كثيرة، وحتى إذا وقعت المصيبة فإن وجود صداقة مع الأم يضمن الحد الأدنى من إمكانية التصرف.

بنت وحيدة فى مشكلة عاطفية خطيرة

وإذا حضرت إلى طبيب أمراض النساء بنت وحيدة فى مشكلة عاطفية أدت إلى عواقب وخيمة رأسقط فى يدى الطبيب، فإن هذه البنت إذا ذهبت إلى عيادة مظلمة لإجراء عملية إجهاض تكون معرضة للوفاة، أو مضاعفات العملية وهى وحيدة، فضلا عما يترتب على ذلك من تصرفات عصبية للعاملين بتلك العيادات، ثم إن مثل هذه الفتاة قد تتعرض لمضاعفات بعيدة المدى قد تفسد عليها حياتها أيما إفساد، أما إذا وجدت تلك الفتاة الأم والأهل إلى جانبها، فإنه يمكن الإسراع بالزفاف إذا كان السبب هو الخطيب، أو تحميل الحبيب أو أبى الطفل مسئولياته لإصلاح الوضع، فإذا أجريت عمليات فإن الوضع يكون مختلفا تماما.

وفى جميع المرات التى أمكننى فيها إقناع الفتاة بتحمل عبء مصارحة أهلها انتهت القصة بنهاية سعيدة أو مريحة على الأقل،

أما ما أتيح لى معرفته عن الفتيات اللاتى جَبُنَّ عن مصارحة الأهل فإنى أشعر بحزن شديد عندما أتذكر نهايتهن.

وقد يقابل الأطباء حالات انسداد كامل بغشاء البكارة بحيث لا ينزل الطمث بالرغم من حدوث آلام شهرية وتوفر مظاهر الأنوثة، وتأتى الفتاة بانتفاخ فى البطن بسبب تجمع الدم واحتباسه فى المهبل والرحم مما قد يوقع الفتاة فى مجال سوء ظن أهلها، وعلاج هذه الحالة سهل بعمل فتحة مناسبة فى الغشاء تسمح بنزول الدم الشهرى.

الاغتصاب

ومن أكثر المرشحات للوقوع فى مشاكل الاغتصاب وفقدان العذرية والحمل غير الشرعى هن الفتيات اللاتى ينشأن فى أسر مفككة بسبب افتقاد المبادئ وبالتالى لا تجد الفتاة النموذج الأنثوى الفاضل الذى تحتذيه، كما لا تجد المسئول الذى يتابع الفتاة ويحافظ عليها ويناقش مشاكلها أولا بأول.

وبهذه المناسبة فقد تمنيت دائما أن نفكر بجدية فى عمل زى موحد للدارسين بكل جامعة، وأن يمنع دخول الحرم الجامعى بدون هذا الزى الموحد حتى ينتهى التناقض الشديد فى مستوى الملبس بين الجامعيات بعد أن أصبحت الجامعة متاحة لجميع مستويات المجتمع الاقتصادية مما دفع بعض الدارسات من البيئات المتواضعة

إلى السير فى طرق غير سوية للحصول على المال الذى يمكنهن من الظهور بالمظهر المطلوب فى الجامعة.

آثار الاغتصاب

أما الأكثر إيلاما فكانت قصص الاعتداء على فتيات متبنّيات فى أسر بها أفراد استغلوا الضعف الاجتماعى لهؤلاء الفتيات ولم يرجعهم ضمير أو استعطاف، ويقع فى نفس الحفرة فتيات صغيرات فى أسر عادية عندما يتركن وحيدات مع أقارب أو جيران فيهم شاب مراهق أو رجل شاذ لا يتورعان عن ممارسة الجنس مع طفلة لم تبلغ الحلم، وقد يستمر ذلك لسنوات مع الإرهاب والتخويف. وتحضر هؤلاء الفتيات فى مرحلة الشباب إلى طبيب أمراض النساء فى مواقف مختلفة مثل:

- طلب الاطمئنان إلى سلامة غشاء البكارة، وعادة ما يكون المدخل إلى ذلك الطلب بقصة مختلفة عن القصة الحقيقية، ولذلك فكثيرا ما يستلزم الأمر من الطبيب بعض المناقشة والمحاورة.

- رفض الزواج نهائيا خوفا من الفضيحة.

- وجود عدوى بمرض جنسى.

ويذكر أخصائيات البحث الاجتماعى أن كثيرا من المنحرفات كانت بداية انحرافهن بسبب اغتصاب فى مراحل مبكرة من

حياتهن، وكان الحل أمامهن هو الهروب من الأسرة والاختفاء فى غابات مجتمع بعيد.

وحالات الاغتصاب التى تحدث من الكبار لطفلة قبل سن البلوغ نادرا ما كان يصحبها دخول حقيقى، ولذلك فإن فحص غشاء البكارة كان ينتهى دائما إلى الاطمئنان ماعدا ما أصاب نفسية الفتاة من ضرر قد يؤدى إلى كراهية الجنس وربطه بالقهر، ولكنه قد يؤدى أيضا إلى استعذاب التعامل بالفرج، أما إذا حدث إدخال وتهتك ونزيف فإن الأمر كان ينكشف ويصل إلى قسم الشرطة والنيابة قبل الوصول إلى طبيب أمراض النساء.

صور أخرى من الاغتصاب

وفرصة الاعتداء الجنسى على الأطفال - فى غياب رقابة الأسرة - لا تقتصر على الإناث، إذ يمكن أيضا أن يقع طفل ذكر ضحية اعتداء من مراهق أو رجل شاذ، وقد يتكتم الطفل ذلك الأمر مما قد ينتهى به إلى إدمان الشذوذ الجنسى.

والشغالات - خاصة المقيمات منهن فى البيوت بصفة دائمة - يقعن على قمة المعتدين مثلما أنهن أنفسهن معرضات للاعتداء عليهن، ويمكن للشغالة أن تتعامل جنسيا أو فميا مع ذكر لم يبلغ الحلم، ويمكنها أيضا أن تعلم فتاة صغيرة كيفية ممارسة السحاق، وهو التعامل الجنسى بين أنثيين.

وبسبب التربية وما ينشر عن حوادث الاغتصاب يصبح الخوف من الاغتصاب رعبا حقيقيا لدى الأنثى، ويتولد لديها شعور عنيف بعدم الأمان مما يؤثر فى تفكيرها وسلوكها ومقدرتها على الحركة.

ولقد أصبحت فترة الخِطبة التى يتعرف فيها الخطيبان على بعضهما أمرا أساسيا فى زيجات هذا العصر، والمرور فيها بسلام وتفتح يغنى عن مشاكل هائلة قد تعترض الزواج فيما بعد، وجرأة أى طرف فى عدم التغاضى عما لا يمكن إصلاحه أو التعايش معه من صفات الطرف الآخر هى السلامة نفسها، وما يهمنى هنا هو الممارسات العاطفية بين الخطيبين اللذين لم يعقدا قرانهما ومدى هذه الممارسات.

مدى الممارسات العاطفية بين الخطيبين

والمدى الذى تصل إليه الممارسات العاطفية بين الخطيبين يتأثر بعوامل متعددة منها:

- البيئة التى نشأت فيها الفتاة بصفة أساسية.
- عمق العلاقة بين الفتاة وأهلها ومدى اهتمام هؤلاء بالمتابعة والمراقبة المتفهمة.
- التدفق العاطفى للأنثى وخاصة نحو الخطيب.
- أخلاق الخطيب وتربيته.
- الواعز الدينى.

- الفرصة المواتية للخلوة بينهما.
- طول فترة الخِطبة.
- المستويات والأمور المادية بين الطرفين.
- تأثير الإعلام الغربى والأفكار المستوردة.

ولذلك فمن واجب أهل الفتاة أن يساعدوها بفتح القلوب لها وتشجيعها على مصارحتهم بكل ما يجرى بينها وبين خطيبها وألا تكثر فترة الخلوة بينهما.

وما يجرى فعلا بين المخطوبين قد يكون أخطر كثيرا مما يمكن أن يدور بمخيلة الأهل، ولكنى مقتنع تماما بأن يدرك الخطيبان حدود المسموح به أثناء الخطبة، حيث إن الخِطبة يمكن فصمها فى أى وقت ولأسباب قد تكون أقوى من الخطيبين ولا يتبقى إلا الندم خاصة وأن كثيرا من الفتيات يندمجن فى عملية الحب بعواطف صادقة مشرئبة وقد يرين فى إرضاء الخطيب تقوية للعلاقات ولكنه سلاح ذو حدين. كما أن كثيرا من الفتيات لا يدركن بوضوح الحقائق الأساسية فى العلاقات، ورغم أن عقد القران يعد زواجا قانونيا إلا إنه قبل الزفاف يعد فى قطاع كبير من المجتمع نوعا من الخِطبة لا يكون الأهل فيها على استعداد لتلقى خبر حدوث فتح لغشاء البكارة أو حدوث حمل، وهما أمران تعجبت كثيرا من أن بعض الفتيات يخفيانهما وَيَجْبُنَّ عن الكشف عنهما بالرغم من سير الأهل

فى فسخ عقد القران لأسباب متعددة دون أن يتذكروا أنهم سمحوا بانفراد الخطيبين بسبب عقد القران، ودون أن يبذلوا جهدا حقيقيا لمعرفة المدى الذى وصل إليه الزوجان فى علاقتهما.

قصص شاذة

ومن ناحية أخرى فقد وجدت قلة من الأسر تدفع بناتها فى هذا السبيل.. سبيل الممارسة الجنسية مع الخطيب لأغراض متعددة منها تخفيف طلبات العريس فى الجهاز، وربما أيضا بهدف الإسراع فى الزواج إذا ما وقع المحظور، ولكن هذا طريق لا يقدر على السير فيه إلا نوعية معينة من الأسر كما أن هذا المخطط يفلح مع نوعية معينة من الفتيان.

وهناك حالات قد تقع فيها الأنثى فى براثن من يغرر بها مستخدما فكرة الزواج العرفى بدون شهود وبمجرد أن يقول كل طرف للآخر قد وهبتك نفسى ثم يطلب الشاب كل شىء، وهو على استعداد للفرار فى الوقت المناسب، وهذا ليس بزواج ولكنى كنت أدهش من أن هذه التمثيلية السخيفة لا تزال تجد من يعيد تمثيلها، ويأتى المتفرجون بعد اختفاء الممثل الأول.

العرسان ومنع الحمل

وحضور زوجى المستقبل إلى عيادة أمراض النساء لمناقشة وسيلة منع الحمل المناسبة أمر لوحظ فى السنوات الأخيرة، وإن اختلفت

دوافعه أحيانا عند الأنثى منه عند الذكر، فإن الزوج إذا طلب مانعا للحمل فى أول الزواج فالأكثر أنهما ينويان السفر لتحقيق غرض اقتصادى أو دراسى، أو قد يكونان متجهين إلى مكان ليس من المصلحة الإنجاب فيه مع الظروف المالية الضيقة، وأحيانا يكون منع الحمل بسبب الإقامة فى مسكن غير مستقر، وقد تشاركه الزوجة تلك الدوافع ولكن حماسها الأساسى لمنع الحمل فى أول الزواج يكون لعدم الاطمئنان لاستمرار الزيجة نفسها، وتحت هذا البند يقع نفورها من الزوج أو أهله المؤثرين.

لقد أثبتت الإحصائيات أن السنوات القليلة الأولى للزواج فى مصر هى السنوات الحاسمة بالنسبة لمستقبل هذا الزواج.

هل يترك للفتاة عملية تقييم زوج المستقبل وحدها؟

وفى رأيى أن الفشل الذى يصيب الزيجات فى سنتها الأولى أو الثانية يعود فى نسبة كبيرة إلى سوء الاختيار الذى تقع فيه الفتاة، فإنه بتأثير الثقافة الغربية اعتمدنا كثيرا على تقييم الفتاة لزوج المستقبل، ونسبة كبيرة من فتيات المدينة لا يقبلن أى رأى معارض فى اختيارهن لزوج المستقبل، كما هو الوضع فى المجتمعات الغربية، ونسى الناس أن ذلك الحق الممنوح للفتاة الغربية ينبع من أن المجتمع هناك يتيح الاختلاط والصداقة بين الجنسين مبكرا، فتتعرف الأنثى على نوعيات مختلفة من الذكور، بل قد تتجاوز ذلك إلى التعرف الجنسى، ويقابل ذلك من ناحية أخرى عدم مسئولية

أهلها ماليا إلا ما قد يقدم طواعية طبقا للظروف، فإذا هبت عاصفة، أو قام نزاع بين الزوجين، لا يهرعان إلى الأهل بمشاكلهما كما يحدث عندنا، وإذا حدث الانفصال فلن تعود الزوجة المنفصلة لتقيم ثانية مع أهلها ليتحملوا مسئوليتها مرة أخرى، أما عندنا ففي بعض الأوساط أعطى للفتاة حق تجاهل رأى الأهل الذين يمكنهم عادة تقييم الزوج تقييما حقيقيا وهي في ذات الوقت تتوقع منهم «شوارًا» مكلفا قد يستدينون من أجله في سبيل زواج غير مضمون، فإذا وضحت الحقيقة بعد الزواج، فإنها تعود إلى أهلها، وقد يكون معها طفل أو أكثر، ومعها أثاثها تزاحمهم به، وتحول حياتهم إلى نكد وقلق دائمين.

ولما كانت الفتاة في أوائل العشرينات لا تملك الخبرة التي تقيِّم بها زوج المستقبل، بحكم تربيتها وبحكم تقاليد السلوك الاجتماعي، ولما كان الأهل سيتحملون نحوها مسئولية حالية ومستقبلة، إذن فلابد من أن يكون لهم رأيهم أيضا في زوج المستقبل بحكم خبرتهم وبحكم حبهم لابنتهم، وليس معنى هذا أن تجبر الفتاة على الزواج من شخص لا تقبله، فهذا غير وارد إطلاقا، ولكن يجب أن تعطى الفتاة أذنا صاغية لرأى الأهل خاصة عندما لا يكون هذا الرأى مغرضا، فالحق المطلق للفتاة الغربية له ظروفه وله التزاماته التي لا تقوى عليها الفتاة العربية، وبذلك يمكن خفض نسبة الانفصال المرتفعة في الفترة الأولى للزواج.

فشل الزواج المتوقع يتكشف أثناء الخطبة

والملاحظة العامة التى أود أن أضعها هنا بالنسبة لأغلب حالات الانفصال التى أمكننى أن أكون على اتصال بها، أن الفشل المتوقع لهذا الزواج كان قد تبين أثناء فترة الخِطبة، وقبل الدخول، ولكن جَبُنَ الجميع عن اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب.

الزواج بالنسبة لصغيرات السن

وهناك فتيات محظوظات لعوامل متعددة فى الشكل والقوام والشخصية فضلا عن الخلفية الاجتماعية، وكلها أمور تساعد على كثرة المترددين بطلب الزواج. وبالنسبة للفتيات اللاتى يتزوجن مبكرا قبل سن العشرين فإن كثيرا منهن لا يدركن تماما معنى الزواج، ولذلك فإنهن على استعداد لسرعة الموافقة على العريس المتقدم لأن الزواج بالنسبة لهن هو تحقيق مجموعة من خيالات المراهقة مثل الحرية وشراء ملابس جديدة وفاخرة وتسريحات للشعر لا يتزين بها الصغيرات ثم كوشة تصبح فيها محط أنظار الجميع وعريس وانطلاق ومولود جميل، كل هذا دون إرهاق الفكر فى المسئوليات والطباع والأمور الأخرى.

كذلك هناك الأسر التى ينتشر فيها الجمال ويعلم أهله كيفية تسويقه مبكرا مع الحصول على أفضل الشروط.

فتيات غير واقعيات

وهناك نوع من الفتيات يحلقن فى خيال واسع، ويضعن مواصفات لزوج المستقبل لا يحدن عنها، ثم يضعن ساقا فوق ساق فى انتظار أن يتقدم، وهن على هذه الحال لا يشعرن بمضى السنين إلا متأخرا، فيقبلن أخيرا زوجا بمواصفات أقل فى وقت تكون خصوبتهن قد ولت أو ضعفت إلى حد كبير مما يحمل تهديدا جديدا لهذا الزواج، ومثل هؤلاء ينسين أن الزوجة يمكنها بحبها وإصرارها أن تكمل أغلب ما ينقص زوجها من مواصفات وينسين أنهن أنفسهن تنقصهن مواصفات كثيرة.

الفتاة التى تجعل التراب تبرًا

وعلى العكس هناك فتاة تقترب من الناس ولا تنتظرهم أن يأتوها، وتتيح لهم أن يكتشفوا داخل نفسها الطيب، وهى تتواضع فى مواصفاتها المطلوبة ولكنها تثق فى مقدرتها على أن تجعل التراب تبرًا، وأن تدفع الإنسان العادى الذى يضعه القدر فى طريقها إلى أن يعمل ويكافح حتى يجد لهما مكانا فى هذا العالم، وهذا الصنف من الفتيات يكُنَّ أكثر ما يكُنَّ فى الأسر رقيقة الحال كثيرة العدد فالبنت تدرك أنه ليس أمامها إلا هذا الطريق كى تتزوج لأنها لا تملك خارج شخصها مغريات لطالبى الزواج، فلا أبوها قادر على تجهيزها، ولا أسرتها تملك الإمكانات والمكانة التى تدفع الشباب ذوى الصفات الممتازة إلى طلب يدها.

هل تخطب المرأة زوجها؟

وقد يقال إن المرأة تقاسى من أن دورها الآن فى اختيار شريك حياتها فى أغلب الأحيان يقتصر على مجرد قبول أو رفض المتقدم للزواج منها، ويتذكر الأديبات المصريات كيف كان العرب فى تاريخهم القديم يسمحون للمرأة أن تعبر عن مشاعرها واختيارها بالنسبة لزوج المستقبل بل وكان يمكنها أن تتقدم إليه بطلب الخطبة، كما كان الرجال يخطبون لبناتهم وأخواتهم، ويتعجب نساء اليوم من أن المرأة فى عصرها الحديث قد سلبت هذا الحق الذى يتيح لها حسن الاختيار حيث إنها تدرك ما تريده فى رجلها، واضطرت إلى أن تلجأ إلى وسائل أخرى للفت نظر الرجل المرغوب. وقد أتاح العمل والدراسة والخروج إلى المجتمع للفتاة الفرصة لاختيار أفضل.

ولقد تطور دور الخاطبة ولم يعد مجرد الصورة التقليدية الغيبية السابقة، بل صار هناك أفراد من الجنسين يسعدهم أن يقوموا بمهمة التعريف بين زوجى المستقبل بوسائل لا تمتهن الكرامة.

الاختيار

ويسير كل من الفتى والفتاة فى طريق الاختيار وكل منهما يضع نصب عينيه حقه فى اختيار شريك يقترب أكثر ما يمكن من الصورة التى تخيلها فى أنضج مراحل حياته بكل ما يحمله هذا الشريك من

صفات جمالية واجتماعية وثقافية واقتصادية، كما أن كلا منهما يسعى إلى تحقيق الصفات النموذجية التى يتمناها فى الأطفال الذين سينجبهم عن طريق الزواج من هذا الشريك المختار بكل ما يحمله هؤلاء الأطفال من صفات جمالية وذهنية.

لماذا يقبل الشباب على الزواج من المطلقات والأرامل

أما بالنسبة لمن سبق لهن الزواج، فالمشاكل جد مختلفة، والملاحظة الهامة فى هذه الأيام، أن أغلبهن يتزوجن من شباب لم يسبق له الزواج، وتعليل ذلك أن النساء اللائى سبق لهن الزواج يتمتعن فى نظر الشباب الذى لم يسبق لهم الزواج بالميزايا الآتية:

- الوضع الاقتصادى المريح عند نسبة كبيرة منهن.

- كثير منهن لديهن شقة، تغنى الشاب عن الاغتراب أو الكفاح لسنوات لتوفير المسكن.

- الأثاث كامل أو شبه كامل.

- الدراية بالرجال أكبر، وبالتالى فانجذاب الشباب أسهل.

وهؤلاء الشبان يمثلون لبعض من سبق لهن الزواج وليمة دسمة، قد يصعب عدم الاغتراف منها، بالرغم من المحاذير، ولكن قطعة من العظم قد تقف فى الحلق فتستلزم سلامة المرأة أن تلفظها بعد فترة، وذلك إذا كان فارق السن كبيرا أو إذا تزوجت امرأة

غربت خصوبتها من شاب متطلع إلى الإنجاب، أو له أسرة رافضة لهذا الوضع.

وفى الواقع أنه فى هذه الحالات يتكرر سيناريو للأحداث لا يتغير، يبدأ بأن تمضى الأنثى سنوات فى محاولة استعادة الخصوبة الغاربة، ثم تقضى فترة أخرى فى رعب من الانفصال المرتقب، وتكاد تقترب من الجنون قبل أن تصل الأحداث إلى النهاية المتوقعة، وفى تلك الأثناء كانت تتاح لى الفرصة للاستماع إلى تفاصيل كثيرة عن كيفية تدهور العلاقة بعد فترة تطول أو تقصر.

وكنت أحيانا لا أستطيع أن أمنع نفسى من توجيه اللوم إلى المرأة التى أُغمضت عينيها عن حقائق ساطعة سطوع الشمس.

فإذا تركنا عامل الإنجاب جانبًا - أى أن يكون هناك أطفال أو أنهم غير مرغوبين لسبب أو لآخر - فإن فارق السن بين الزوجين ليس له قيمة إذا وجد كل طرف فى الآخر ما يرغبه.

لا شىء مضمون ١٠٠٪

وبالرغم من كل ما ذكرته فسيظل دائما بعيدا عن مرمى أبصارنا ما تعده المقادير لكل زيجة من سعادة ودوام وشقاء لأن الموضوع ملىء بالتفاصيل الحيوية والتربوية والعاطفية والمادية، ذلك أن كلا من الفتى والفتاة وأهليهما يمكنهم جميعا أن يمثلوا أدوارا مطلوبة وإخفاء بيانات وطباع لا يمكن الإطلاع عليها وإدراكها إلا بالمعاشرة اللصيقة.